من مواضع الخلط بين الأخافش النُحاة

للدكتور محمود حسني محمود
(الجامعة الاردنية)

لا شك في ان البحث في اصغر الامور كالبحث في اعظمها واجلها ، وان العناء الذي يجب ان يبذل عند التصدي لاي قضية فكرية لا بد ان يكون واحدا وان الحرص على الحقيقة والحذر من الزلل لا بد ان يلازما الباحث من بداية بحثه حتى نهايته . فقد يقع الخطأ في الامور التي يظن انها واضحة الوضوح كله ، وقد يتتابع الخلط في المتشابهات ويُتناقَل من مؤلف الى مؤلف ، فتتداخل الامور وتلتبس الحقيقة ، ويصبح الشيء غيره ، والضد ضده ، فيلف المعارف الانسانية لبس وغموض يصعب محوه وازالته .

وفي هذا البحث سأحاول ان اجلي امرا التبس على الباحثين في الماضي والحاضر فخلطوا بين العلماء الذين اشتركوا في لقب « الاخفش » ونسبوا الى احدهم ما للآخر .

ولقد تتبعت الامر ، فوجدت الخلط قديما قدم الاخافش ، واستمر دون توقف فتفشى في الكتب الحديثة كما تفشى في القديمة ، مع ان التمييز بين هؤلاء ليس عسيرا على الباحث المتأني الواعي . ومع ان معرفة احد الاخافش من غيره لا تحتاج الى كبير عناء الامر

الذي جعل الدكتور ابرهيم السامرائي يلوم محقق امالي الزجاجي لتعريفه الاخفش الاوسط في الحاشية بقوله : « لم (١) يعن المحقق من كل هذا الا بترجمة « الاخفش » في حاشيته ليقول لنا انه سعيد بن مسعدة ، كأنه حسب أن القارىء يذهب فهمه الى « الاخافش » الآخرين ، ومنهم الاكبر والاصغر وغيرهما ؟ وكل هذا معروف يعرفه الشداة الذين مرنوا على قراءة الكتب اللغوية القديمة . والتعريف بالاخفش واضرابه هو من باب التعريف بالمشاهير ، وانما ينبغي ان توفر الحاشية لغيرهم من الاعلام الذين لا يعرفهم الكثير من الدارسين » .

ومع انني اتفق مع الدكتور السامرائي واحترم رايه في ان الاخفش الاوسط مشهور ومعروف الا انني ارى — ويرى كل من يلمس تفشي الخلط واللبس — أن يميز الاخفش المذكور من غيره حين يرد في احد المتون .

والاخافش — حسب ما وصل الينا من كتب التراجم والطبقات — خمسة عشر عالما ذكر (٢) السيوطي منهم احد عشر ، وذكر (٣) ابن حجر واحدا ، وذكر صاحب تاج العروس (٤) واحدا ، وذكر صاحب « البدر الطالع » (٥) واحدا . وذكر صاحب « دائرة المعارف » (٦) — فؤاد — واحدا . الا ان الاخافش المشهورين — من بين هؤلاء — ثلاثة يعرفون بالاكبر والاوسط والاصغر .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الاردني — العدد المزدوج ١١ — ١٢ ص ٩٦ من مقال: مع تحقيق كتب التراث ص ٩٢

(٢) انظر : بغية الوعاة ٢/٣٨٩

(٣) انظر : لسان الميزان ٢ /٣١٣

(٤) انظر: ج٤/٣٠٤

(٥) انظر : ٢٩٦/١

(٦) انظر : ٤٢٨/٧

والاكبـــر (٧) هـــو ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد ، مـــن اوائل ائمـــة اللغة والنحو ، لـــه الفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب ، اخـــذ عن ابي عمرو بن العلاء واخذ عنه يونس ، وسيبويه ، وابو عبيدة .

امـــا الاوسط (٨) فهو اشهر الاخافش جميعا ، وهو ابـــو الحسن سعيد بن مسعدة ، كـــان الطريق الى كتاب سيبويه ، تتلمذ عليه المازني والجرمي وعلماء كثيرون ، والـــف كتبا عديدة في مختلف علـــوم عصره ، من اشهرها « معاني القرآن » (٩) « القوافي » (١٠) « الاوسط » في النحو ، « المقاييس » في النحـــو ، « المسائل الصغير » . ولقـــد تربع الاخفش هـــذا على عرش العروض بعـــد الخليل بايجاد بحـــــر « الخبب » ولتصبح بحـــور الشعر ستة عشر بحرا بعد أن كانت زمـــن الخليـــل خمسة عشر . وتوفـــي سنة ٢١٥ هـ .

امـــا الاصغر (١١) فهو ابو الحسن علي بن سليمان تلميـــذ المبـــرد وثعلب ، وصاحب كتاب « الانواء » و « التثنية والجمع » و « الجـــراد » وشرح كتاب سيبويه . وتوفـــي سنة ٣١٥ هـ .

ولعـــل اول خلط ذلك الذي وقع فيـــه ابـــو الطيب اللغوي ، والطريف انـــه حدث في الموضع الذي كان يتحدث فيه عن الخلط بيـــن

---

(٧) انظر ترجمته في مراتب النحويين ص ٢٣. طبقات النحويين واللغويين ص ٣٥ . نزهة الالباء : : ص ٤٣ (تحقيق ابو فاضل ابرهيم) . انباه الرواة ١٥٧/٢ .بروكلمان ١٥١/٢ مدرســـة البصـــرة ص ٤٦٤ .

(٨) انظر ترجمته في : اخبار النحويين البصريين ص ٥٠ الفهرست ٨٤ معجم الادبـــاء ٢٢٤/١١ المدارس النحوية ص ٩٤ .

(٩) وهو محقق في جزأين تحقيق د. فايز فارس ١٩٧٩م .

(١٠) وهو محقق تحقيق د. عزت حسن دمشق ١٩٧٠م .

(١١) انظر ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ص ١٢٥ نزهة الالباء ص ١٨٥ (تحقيق د.ابرهيم السامرائي) انباه الرواه ٢٧٦/٢.

العلماء ، قال : (١٢) « ... حتى ان كثيرا من اهل دهرنا لا يفرقون بين ابي عبيدة وابي عبيد ، وبين الشيء المنسوب الى ابي سعيد الاصمعي او ابي سعيد السكري او ابي سعيد الضرير . ويحكون المسألة عن الاحمر : فلا يدرون اهو الاحمر البصري ، او الاحمر الكوفي . ولا يصلون الى العلم بمزية ما بين ابي عمرو بن العلاء ، وابي عمرو الشيباني ، ولا يفصلون بين ابي عمر عيسى بن عمر الثقفي وبين ابي عمر صالح بن اسحاق الجرمي ، ويقولون : « قال الاخفش » ولا يفرقون بين ابي الخطاب الاخفش وابي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش البصريين . وبين ابي الحسن علي بن المبارك الاخفش الكوفي ، وابي الحسن علي بن سليمان الاخفش بالامس صاحب محمد بن يزيد ، واحمد ابن يحيى . وحتى يظن قوم : ان القاسم بن سلام البغدادي ، ومحمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات اخوان » .

لقد خلط ابو الطيب عند قوله : « ابي الحسن علي بن المبارك الاخفش الكوفي » فليس ابن المبارك هذا بأخفش ، وانما هو احد الاحمرين ، اذ ان كتب التراجم كلها تكاد تجمع على انه مشهور بالاحمر ، ترجم له صاحب « طبقات النحويين » بقوله (١٣) : «هو علي بن المبارك الاحمر ، وكان مؤدب محمد بن هارون الامين » وترجم له صاحب « نزهة الالباء » بقوله (١٤) : « واما علي بن المبارك الاحمر صاحب الكسائي فانه اول من دون عن الكسائي ، قال الفراء : اتيت الكسائي فاذا الاحمر عنده ، وقد بقل وجهه ، ثم برز حتى كان الفراء يأخذ عنه ، وكان يؤدب الامين ، وكان مشهورا بالنحو واتساع الحفظ » .

---

١٢ ، مراتب النحويين ص ١ ـ ٢ .

١٣ ، ص ١٤٧

١٤ ، ص ٩٧ ، تحقيق ابو الفضل ابرهيم ،

وترجم لـــه صاحب « انباه الرواة » بقوله (١٥) : « علي بن المبارك الاحمر النحوي صاحب علي بن حمزة الكسائي كـــان مؤدب الامين ، وهو احـــد من اشتهر بالتقدم في النحـــو واتســاع الحفظ ، وجرت بينه وبين سيبويه مناظرة لمـــا قدم بغداد » ولم يورد واحـــد من هؤلاء عالما آخر بهـــذا الاسم ملقبـــا بالاخفش الكوفي .

هـــذا اولا واما ثانيا : فان ابـــا الطيب اللغوي اعاد ذكر « الاخفش » هذا مـــرة اخرى في ترجمة عبد الله بن سعيد الاموي فقـــال : « وفـــي طبقته ابو الحسن علي بن المبـــارك الاخفش الكوفي » وذكر انهما كانـــا في عصر الفراء ، والمعروف ان الاحمر هـــو الذي كان في عصر الفراء اذ كان الاثنان تلميذين للكسائي ، ولا اعرف احـــدا من الكوفيين روى عـــن عالـــم كوفي في عصر الفراء ملقب بالاخفش وانمـــا اللقـــب المشهور والمعروف هو الاحمـــر ليس غير .

وامـــا ثالثا فوصف ابي العباس ثعلب الكوفي لعلي بن المبـــارك هذا بالاحمر لا بالاخفش قـــال صاحب الانباه (١٦) : قـــال ابو العباس احمـــد بن يحيى : كان علي بـــن المبارك الاحمر مؤدب الامين يحفـــظ اربعين الف بيـــت شاهد في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائـــد وابيات الغريب ، ولمـــا احضر سيبويه في دار يحيى بن خالد البرمكـــي لمناظرة الكســائي حضر الاحمـــر قبل حضور الكســائي ، فألقى الاحمر على سيبويه مسألة فأجاب فيها ، فقال لـــه الاحمر : اخطأت . والقى عليـــه اخرى ، فأجاب . فقال لـــه : اخطأت ــ وكان الاحمر حادا حافظـــا ــ فغضب سيبويه فقال لـــه الفراء : ان معه عجلة . واخذ الفراء فـــي الكلام مع سيبويـــه » .

---

(١٥) ٢١٣/٢

(١٦) انباه الرواة ٢١٤/٢

فمن اثبت من ابي العباس ثعلب ومن ادق منه في ذكر اعلام الكوفيين ممن عاصروا الكسائي والفراء ؟! ومن اعلم منه في القاب هؤلاء الاعلام ؟! فهو الذي كان يفاخر بهم دائما ، ويكرر اقوالهم وآراءهم امام البصريين عند مناظراته اياهم .

ولم يتبن هذا الخلط الذي وقع فيه ابو الطيب الا السيوطي الذي كرر الكلام نفسه عند الحديث عن ابي محمد عبد الله بن سعيد الاموي قال (١٧) : « وفي طبقته ابو الحسن علي بن المبارك الاخفش الكوفي » ويخيل الي ان السيوطي لم يتحقق من الامر ولم يتروّ ، وانما كان ينقل نقلا تاركا المسؤولية على من ينقل عنه . وهذا الامر جعله يقع فريسة الاضطراب الشديد فمع انه لقب ابن المبارك المذكور بالاخفش ، الا انه حين ذكر الاحد عشر اخفش لم يذكره معهم قال (١٨) : « الاخفش احد عشر ، اشهرهم ثلاثة : الاكبر عبد الحميد بن عبد المجيد والاوسط سعيد بن مسعدة . والاصغر : علي بن سليمان . والرابع : احمد بن عمران . والخامس : احمد بن محمد الموصلي . والسادس : خلف بن عمر . والسابع : عبد الله بن محمد . والثامن : عبد العزيز بن احمد . والتاسع : علي بن محمد المغربي . والعاشر : علي بن اسماعيل الفاطمي . والحادي عشر : هرون بن موسى بن شريك » .

وحين ترجم للاحمر لم يزد على قوله عنه (١٩) : وممن اخذ عن الكسائي ابو علي الاحمر ولكنه حين عدد من لقب بالاحمر قال (٢٠) : « . . . اربعة اشهرهم اثنان : خلف البصري وعلي بن الحسن الكوفي . والثالث : ابان بن عثمان اللؤلؤي ، والرابع : ابو عمرو الشيباني

---

(١٧) المزهر ٢/٤١١

(١٨) بغية الوعاة ٢/٣٨٩

(١٩) المزهر ٢ /٤١٠

٢٠) بغية الوعاة ٢/٣٨٩

اسحاق بن مرار » فكيف تكون كنيـــة الاحمر ابا علي واسمه عليـــا في الوقـــت نفســـه .

وممـــن خلط بين الاخفش الاوسط والاصغر ابن الطيب في شرح الاقتراح، فقـــد رأى ان كنية « ابي الحسن » خاصة بالاصغر علي بـــن سليمان ، والاثنـــان يشتركان بهذه الكنية « وهـــو وهـــم » (٢١) ذلك ان هـــذه الكنية خاصـــــة بالاخفش الاوسط ليس غـــــير ، وهـــي خاصة بـــه في كتاب الخصائص علـــى الاقـــــل ، فهذا ابن جني يقـــول (٢٢) : « على ان ابـــا الحسن قد كان صنف فـــي شيء من المقاييس كتيبـــا اذا انت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك انا نبنا عنه فيه ، وكفيناه كلفة التعب بـــه ، وكافأناه على لطيف ما اولاناه من علومه المسوقة الينا المفيضة مـــاء البشر والبشاشة علينا ، حتى دعـــا ذلك اقواما نزرت من معرفـــة حقائق هذا العلم حظوظهم ، وتاخرت عـــن ادراكه اقدامهم الى الطعن عليه ، والقدح في احتجاجاته وعلله ، وسترى ذلك مشروحا في الفصول باذن اللـــه تعالى » .

وممـــن خلط بين الاكبر والاوسط اليمني فقد غلطه (٢٣) صاحب انبـــاه الرواة وادعى انـــه قال عن الاكبر انـــه الاوسط ، دون ان يتمكن من التمييز بينهمـــا .

وممـــا خلط الباحثون فيه فنسبوه الى الاكبر وهو للأوسط اوليـــة تفسير الشعر تحت كل بيـــت ، ولعل اول من وقع في ذلك السيوطـــي حين قال في ترجمة الاكبر (٢٤) : « وابـــو الخطاب المذكور اول من فسر الشعر تحت كل بيت ومـــا كان الناس يعرفون ذلك قبلـــه ، وانما كانوا

---

(٢١) وهو رأي الاستاذ محمد النجار انظر الخصائص ج ١ /٢ (الحاشية)

(٢٢) الخصائص : ٢/١

(٢٣) ١٥٨/٢

اذا فرغوا من القصيدة فسروها » . وتبعه في ذلك بروكلمان بقوله (٢٥) : « الاخفش الاكبر وهو ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد ... وكان اول من كتب تفسير الاشعار بين السطور » . والاستاذ علي النجدي ناصف بقوله (٢٦) : « وهو اول من فسر الشعر بيتا بيتا بعقب كل بيت تفسيره ، وكان الناس قبله اذا فرغوا من القصيدة فسروها جملة ، واخذ عنه الكسائي ويونس وابو عبيدة وسيبويه ، وكان ثقة ورعا دينا » . والدكتور حسين نصار بقوله (٢٧) : « ولم يكن تاليف دواوين الشعراء او القبائل مجرد جمع للشعر حسب ، بل كان جمعا وشرحا وسار هذا الشرح في طريقين الاول جمع القصيدة وتفسيرها بعد ايراد ابياتها باجمعها ، وبقي هذا متبعا الى ان جاء ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الاخفش الاكبر (وهو من تلاميذ ابي عمرو بن العلاء) فابتدع طريقة جديدة في الشرح ففسر الشعر تحت كل بيت ، يقول السيوطي : وهو اول من فسر الشعر تحت كل بيت ، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وانما كانوا اذا فرغوا من القصيدة فسروها » .

وقد اوغل في هذا الخلط د. عبد الامير الورد حين نسب هذا (٢٨) العمل وهو تفسير كل بيت تحته الى « ابي عبد الله (٢٩) محمد بن

---

(٢٥) تاريخ الادب العربي ١٥١/٢

(٢٦) سيبويه امام النحاة : ص ٩٠

(٢٧) المعجم العربي : ص ٢١

(٢٨) منهج الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية ص ٢٣

(٢٩) هكذا اورد د. الورد هذه الكنية والصحيح :« ابو محمد عبد الله » وعبد الله اسم الاخفش هذا . قال الزجاجي : « وللبغداديين عبد الله بن محمد البغدادي الاخفش ،احد من روى الشعر وقد اخذ عنه ابن السكيت والطوسي ». (مجالس العلماء : ص١٦٣) . وقال السيوطي : « عبد الله بن محمد البغدادي ابو محمد يعرف بالاخفش وهو خامس الاخفشين المذكورين هنا » (بغية الوعاة : ٦٢/٢). وانظر تقديم د. رمضان عبد التواب كتاب الحروف لابن السكيت .

عبد الله البغدادي الاخفش النحوي ، والغريب عند د. الورد انه انتزع الخبر المتعلق بهذا العمل من ترجمة الاخفش الاوسط الوارد في « طبقات النحويين » و « انباه الرواة » كما سيرد بعد قليل ووضعه في ترجمة الاخفش هذا حين ترجم للأخافش .

واستبعد ان يكون الاخفش الاكبر هو اول من فسر كل بيت من الشعر تحته لان من ينسب اليه هذا العمل لا بد ان يكون مؤلفا كتابا واحدا على الاقل ، ولم يعرف عن الاكبر انه الف كتابا واحدا في اللغة والادب وانما كان الرجل يسأل عن الفاظ فيجيب ، وقد روى عنه سيبويه في كتابه سبعا واربعين مرة (٣٠) و « كل ما يروى عنه نصوص ومفردات » .

وارى في الوقت نفسه ان الاخفش الاوسط هو اول من سن هذا العمل وهو المعني بذلك لانه الف مجموعة كبيرة من الكتب — ذكرت بعضا منها آنفا — وهي في مجال اللغة والشعر والادب ، وعلى الرغم من ان كتابيه المحققين — واللذين اشرت الى تحقيقيهما في الحاشية قبل صفحات — لا يشتملان على هذه السنة الا ان المجال يبقى فسيحا لهذا الموقف — الذي انبناه — في كتبه الضائعة وكتبه التي لم تحقق بعد . ولعل ما يقوي الذي ذهبت اليه قولة ابي العباس ثعلب التي اوردها صاحب « طبقات النحويين واللغويين » وصاحب « انباه الرواة » وهي (٣١) : « اول من املى غريب كل بيت من الشعر تحته الاخفش — وكان ببغداد — وكان الطوسي مستمليه ، وقال : ولم ادركه لانه كان قبل عصرنا ، وكان يقال له الاخفش الراوية » . وقد اوردا هذه الرواية في ترجمة الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة . ولكن قد

---

(٣٠) سيبويه امام النحاة ص ٩٠

(٣١) طبقات النحويين واللغويين : ص٧٦، انباه الرواة : ٣٩/٢.

يقال : ان هذين المؤلفين خلطا في الامر فوصفا هذه الرواية في ترجمة الاوسط وكان الاولى ان توضع في ترجمة الاكبر ، فان من السهل القول : ان في هذه الرواية عدة مؤشرات تدل على ان ثعلبا كان يعني الاوسط لا الاكبر اولها قوله « وكان ببغداد » ولم يعرف عن الاكبر انه جاء بغداد وانما الذي جاء بغداد هو الاخفش الاوسط ، جاءها لينتقم من الكسائي بعد المناظرة المشهورة التي دارت بين سيبويه والكوفيين .

وثانيا : قوله « ولم ادركه لانه كان قبل عصرنا » فهذا القول يفهم منه ان ثعلبا كان في فترة ليست بالبعيدة عن تلك التي عاشها الاخفش ، ولكن ثعلبا لم يقدر له ان يلحق به ، والا لما قال « ولم ادركه » ويظن ان الاخفش الاكبر توفي (٣٢) سنة ١٧٧هـ ، بينما توفي (٣٣)الاخفش الاوسط سنة ٢١٥ هـ وذلك بعد الفراء الذي توفي (٣٤) سنة ٢٠٧ هـ ، وتوفي (٣٥) ثعلب سنة ٢٩١ هـ وكان ولد (٣٦) سنة ٢٠٠ هـ ، اي كان عمره عند وفاة الاخفش الاوسط خمسة عشر عاما ، ولكنه مع ذلك كله لا يعد من عصره او من جيله وبالتالي فلم يتمكن من ادراكه والتلمذ عليه ، اذ كان يقول (٣٧) : طلبت العربية واللغة في سنة ٢١٦ هـ » .

وثالثهما قوله : « وكان يقال له الاخفش الراوية » والاخفش الاوسط كان راوية فعلا ، فقد روى (٣٨) كتاب سيبويه ، وكان الطريق

---

(٣٢) تاريخ الادب العربي : ١٥١/٢

(٣٣) اخبار طبقات النحويين البصريين : ص ٥١

(٣٤) نزهة الالباء : ص ١٧٦ (تحقيق د. ابرهيم السامرائي)

٣٥) طبقات النحويين واللغويين ص١٦٠ وانظر مقدمة مجالس ثعلب للمحقق

(٣٦) انباه الرواة : ١٣٩/١

(٣٧) انباه الرواة : ١٣٩/١

(٣٨) نزهة الالباء ص ١٣٣ (تحقيق ابو الفضل ابرهيم)

الوحيد اليـــه ، وهو الذي نشره بين الناس من خلال المازني والجرمـــي . وكذلك فقد كـــان يروي اشعار العرب ولغتهـــم في كتبه .

بالاضافة الى ذلك كلـــه فان ثعلبا كان يعتني عناية خاصة بالحديث عن الاخفش الاوسط للعلاقة الوثيقة التي كانت بين هـــذا العالم والكوفيين ولذلك فقد كان ثعلـــب يتحدث عنه كثيرا مظهرا الاحترام لـــه والاكبار وكان يقول عنـــه (٣٩) « كان اوسع الناس علمـــا » .

ولـــولا هذه الاشارات جميعها التي استعنت بهـــا للقول ان الاخفش الاوسط هـــو اول من وضع تفسير كل بيت من الشعر تحته لذهبت ـــ ولـــن اذهب الى ذلك ـــ الى ان اول من فعل ذلك الاخفش الاصغـــر علي بن سليمان ، فقـــد وجدته يلتزم بهذا الاسلوب في كتابه « الاختيارين » ولا يحيـــد عنه . ولعل المناسب في هذا المجـــال ان اضع بين يـــدي القارىء امثلة سريعة لذلك . يقـــول في شرح قصيدة علقمة بن عبـــدة التميمـــــي (٤٠) .

ذهبت من الهجران في غير مذهـــب ولـــم يك حقا كل هذا التجنـــب

ويروى « طول هذا التجنب » يقول : لـــم يكن من الحق ان تجتنبي هـــذا التجنب كله ، ولـــم آت ذنبا ، استحقت بـــه منك التجنب ، ويقال : انمـــا خاطب نفسه بذلك ، وعاتبهـــا :

لليلـــي فـــلا تبلى نصيحة بيننـــا ليالـــي حلـــوا بالستار فغـــرب

يعنـــي : فليست تبلى نصيحة بيننـــا ، ويروي : « ليالي لا تبلى نصيحة بيننا » و « حلـــو » : نزلوا ، و « الستار وغرب » موضعـــان » .

---

(٣٩) انباه الرواة : ٢/٤٠

(٤٠) الاختيارين ص ٤٧

ويقـــول (٤١) في قصيدة دجاجة بن عبد القيس :

تجـــرد علاق الينـــا وحاجـــــب وذو الكير يدعو : يالحنظلة اركبوا

قـــال : « علاق وحاجب » ابنـــا عبد الله بن همام بن رباح بن يربوع . و « ذو الكـــير » الحارث بن بيبة بن قرط سفيان بـــن مجاشع .

ومنـــا رقيـــب جالس في علايـــة مـــن الارض راب طرفه يتقلـــب

ويروي : « بأرض فضاء ، طرفـــه يتقلب » . قـــال : و « الرقيب » : الذي يربـــأ القوم فوق رابية ينظر : هل يأتيهم عدوهم ، ومن اين يأتيهم . و « علايـــة » : مكان عال . و « ارض فضاء » اي : واسعة ، وقولـــه « طرفه يتقلب » اي : ينظر ههنا وههنـــا » .

ولعـــل ابرز ما يثير الاستغراب في قضية الخلط بيـــن الاخفش ذلك الذي وقـــع فيه محقق « اعراب القرآن المنسوب الى الزجـــاج » ، فقـــد نسب في الفهرس المخصص للأعلام في نهايـــة هذا الكتاب الى ابي الحسن الاخفش الاصغر كل مـــا ورد في الكتاب منسوبا الـــى « الاخفش » او « ابي الحسن » او « ابي الحسن الاخفش » ظنا منه انـــه المعني بذلك بينما المعني حقيقة في هذا كلـــه ـــ وهو كثير جدا ـــ ابـــو الحسن الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة . ولـــن احاول ان ادلل من عندي بادلـــة اجتهادية ، وانما سأحاول ان ارد بعض نصوص « اعراب القرآن » المتعلقة بهذا الامـــر الى « معاني القرآن » الذي الفـــه الاخفش الاوسط والذي حقق سنـــة ١٩٧٩م .

فقـــد نسب المحقق الى الاخفش الاصغر مـــا ورد في « اعراب القرآن » حول زيادة « من » وهـــو (٤٢) : « فأما قوله تعالى (٤٣) (وينزل

---

(٤١) صـــس ٦٨٧

(٤٢) اعراب القرآن ٤١٧

(٤٣) النور آية ٤٣

من السماء من جبال فيها من برد) فان ابا الحسن ذكر ان التقدير : وينزل من السماء جبالا فيها بـــرد » . وهذا القول لابي الحسن الاخفش الاوسط الذي قال (٤٤) : « قـــال (٤٥) (كلوا مما امسكن عليكم) ادخل « مـــن » كما ادخله في قولـــه : كان من حديث ، و + قد كان مـــن مطـــــر . وقولـــه (٤٦) : (ويكفر عنكم من سيئاتكم) و (ينزل من السماء من جبـــال فيها من بـــرد) وهو فيما فسر : ينزل من السماء جبالا فيهـــا بـــرد ، وقـــال بعضهم : « وينزل من السماء من جبال فيها من بـــرد » اي في السماء جبال من بـــرد ، اي يجعل الجبال من برد في السماء ، ويجعـــل الانزال منهـــا » .

ونسب اليـــه ما ورد فيه حول زيادة « من » ايضا (٤٧) : « امـــا الثاني دخولها على خبـــر المبتدا في موضع ، في قول ابي الحسن الاخفش ، وهو قوله (٤٨) : (جزاء سيئة بمثلها) زعـــم ان المعنى : جزاء سيئـــة مثلها ، وكأنه استدل على ذلك بالآيـــة الاخرى ، وهو قوله (٤٩) (وجـــزاء سيئة سيئة مثلها) » . وهذا للأخفش الاوسط الذي قـــال (٥٠) : « وقال (جزاء سيئة بمثلها) وزيدت الباء كما زيدت في قولك : بحسبك قـــول الســـوء » .

---

(٤٤) معاني القرآن ٢٥٤/١

(٤٥) المائدة آية ٤

(٤٦) البقرة آية ٢٧١

(٤٧) اعراب القرآن ٦٨٨

(٤٨) يونس آية ٢٧

(٤٩) الشورى آية ٤٠

(٥٠) معاني القرآن ٣٤٣/٢

ونسب اليه ما ورد فيه حول سورة الناس (٥١) : « ومن ذلك ما قاله ابو الحسن في قول الله تعالى (٥٢) (من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) اي : انه اراد من شر الوسواس الخناس من الجنة والناس الذي يوسوس في صدور الناس » . وهذا للاخفش الاوسط الذي قال(٥٣) : « وقوله (من الجنة والناس) يريد : من شر الوسواس من الجنة والناس . والجنة هم الجن » .

ونسب اليه ما ورد فيه حول حذف (او) (٥٤) « ومن ذلك قوله تعالى (٥٥) : (قم الليل الا قليلا ، نصفه او انقص منه قليلا ، او زد عليه) .. وقال الاخفش المعني : او نصفه او زد عليه قليلا ، لان العرب قد تكلم بغير او ، يقولون : اعط زيدا درهما درهمين او ثلاثة » وهذا للاخفش الاوسط الذي قال (٥٦) : « وقوله (قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا ، او زد عليه) فقال السائل عن هذا : قد قال : « قم الليل الا قليلا » فكيف قال « نصفه » ؟ انما المعني : او نصفه او زد عليه ، لان ما يكون في معنى تكلم به العرب بغير « او » تقول : اعطه درهما درهمين ثلاثة تريد : او : درهمين او ثلاثة .

ونسب اليه ما ورد فيه حول حذف الفاء (٥٧) : « ويجوز على قياس قول ابي الحسن في قوله (٥٨) (الوصية للوالدين) من ان المعني :

---

(٥١) اعراب القرآن ٦٨٢

(٥٢) الناس آية ٤ — ٦

(٥٣ معاني القرآن ٢/٥٥٠

(٥٤) اعراب القرآن ٧٠٤

(٥٥) المزمل آية ٢ ، ٣ ، ٤ ،

(٥٦) معاني القرآن ٢/٥١٢

(٥٧) اعراب القرآن ٧٨٠

(٥٨) الفقرة ١٨٠

فالوصية ، أن يكون جـزاء ، ويقدر حذف الفـاء » . وهذا القـول للاخفش الاوسط الذي قـال (٥٩) : « وقـال : (ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين) فالوصية على الاستئناف ، كأنه ـ والله اعلـم ـ : ان ترك خيرا فالوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقـا » .

ونسب اليـه ما ورد فيه حول الحال (٦٠) : « وقد قال ابو الحسن في قولـه (٦١) : (وما لنا الا نقاتل في سبيل اللـه) (٦٢) (وما لكم الا تاكلوا) ان المعني : وما لكـم في ان لا تاكلوا وانه في موضوع الحال » . وهذا القول للاخفش الاوسط الذي قـال (٦٣) : وقـال : وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم اللـه عليه) يقول ـ والله اعلـم ـ واي شيء لكم في الا تاكلوا ؟ وكذلك : (ما لنا الا نقاتل) يقـول : اي شيء لنا في ترك القتال ؟ ولـو كانت « ان » زائدة لارتفع الفعل ، ولـو كانت في معنى : وما لنا وكذا ؟ لكانت : وما لنـا والا نقاتل ؟ » ونسب اليه ما ورد فيـه حول زيادة الواو (٦٤) : « فامـا قول كثير :

مـاذا وذلـك ليس الا حيفـة واذا مضى شيء كأن لم يفعـل

حمل ابو الحسن هذا على الواو الزائدة ، حتى كأنه قـال : فاذا ذلك ، وليس الا حينه ، وانشد هـذا البيت نفسه ، وانشد معه بيتـا آخـر وهو قـول الشاعر :

فاذا وذلك يـا كبيشة لم يكـن الا كلمـة حالـم بخيـال

---

(٥٩) معاني القرآن ١٥٨/١

(٦٠) اعراب القرآن ٨٥٦

(٦١) البقرة آية ٢٤٦

(٦٢) الانعام آية ١١٩

(٦٣) معاني القرآن ٢٨٦/٢

(٦٤) اعراب القرآن ٨٨٩

وقال محمد بن يزيد : ان البصريين لا يرون زيـادة الواو ، وقد كان في الواجب ان يستثني ابـا الحسن » .

وهـذا لابي الحسن الاخفش الاوسط الذي قـال (٦٥) : وقد جاء في الشعر شيء يشبه ان تكون الواو زائدة فيـه ، قال الشاعر :

فاذا وذلك يـا كبيشة لم يكـن الا كلمـة حالـم بخيـال

فيشبه ان يكون يريـد : فاذا ذلك لم يكن ، وقال بعضهم : فاضمر الخبر ، واضمار الخبر احسن في الآيـة ايضا ، وهو في الكلام كثير » .

ولقـد وقع صاحب كتاب « سيبويه امام النحاة في آثـار الدارسين » في خلط واضح ، فنسب في فهرسه المخصص للاعلام في آخـر الكتاب الى الاخفش الاكبر ما للاوسط ، فراى ان الاخفش المعنـي في الرواية التالية هـو الاكبر لا الاوسط (٦٦) : « حدث الاخفش قـال : حضرت مجلس الخليل ، فجاءه سيبويه ، فسأله عـن مسألة ، وفسرها لـه الخليل فلم افهـم ما قالا فقمت وجلست لـه في الطريق ، فقلت : جعلني الله فداءك ، سألت الخليل عن مسألة فلم افهم ما رد عليك ، ففهمنيه ! فأخبرني بهـا ، فلم تقع لي ، ولا فهمتها فقلت لـه : لا تتوهم اني اسألك اعناتا ، فانـي لم افهمها ولم تقع لي فقال لي : ويلك ، ومتى توهمت انـك تعنتني ؟ ثـم زجرني وتركني ومضـى » .

ان المعنـي في هذه الرواية الاخفش الاوسط تلميـذ سيبويه ولا يمكن ان يكون المعني فيهـا الاخفش الاكبر استاذ سيبويه اذ لا يستغرب من تلميـذ ان يجلس لاستاذه في الطريق ، ولكنه ليس من المعقول ان يجلس الاستاذ لتلميذه ، هـذا اولا . وثانيا : لا يتوقع ان تكون مخاطبـة سيبويه لاستاذه هذه المخاطبة ولكنهـا منطقية ان تصدر من استـاذ

---

(٦٥) معاني القرآن ٢/٤٥٧ — ٤٥٨

(٦٦) سيبويه آثار الدارسين ص ١٢ وانظر فهرس هذا الكتاب ص ٢٢٨

لتلميذه . اما ثالثا فـــان هذه الرواية لا تختلف في جوهرها عن تلك التـــي رويت في ترجمة الاخفش ونصهـــا (٦٧) : « قال المبرد : الاخفش اكبر سنا من سيبويه ، الا انـــه لم يأخذ عن الخليل وكانا جميعا يطلبان ، فجـــاءه الاخفش ، فناظره بعـــد ان برع ، فقال لـــه الاخفش : انما اناظـــرك لاستفيد لا غير . قـــال : اتراني اشك في هـــذا » .

ولعـــل من الخلط البين بين الاخافش هو مـــا وقـــع فيه محقق « العسكريات ، الـــذي نسب في فهرسة المخصص للاعلام الى الاخفش الاوسط مـــا للأصغر ، اذ نسب اليـــه الانشاد حول عمل لولا في قـــول ابـــي علي الفارسي (٦٨) : « وانشدنا ابـــو حسن الاخفش عن الاحـــول عن ابي عبيـــدة :

وكـــم موطن لولاي طحت » .

ان المعني هنـــا هو الاخفش الاصغر ، بدليل قـــول الفارســـي « وانشدنا » والفارسي المتوفى سنـــة ٣٧٧ هـ تلميذ الاخفش الاصغـــر علي بن سليمان المتوفى سنة ٣١٥ هـ ، ولـــن يكون المعني في هذه الرواية باي حال من الاحوال الاخفش الاوسط المتوفـــى سنة ٢١٥ هـ فهنـــاك مسافة زمنية بين الاثنين واسعة . هـــذا اولا ، وثانيا : ان الاخفش المذكور في هـــذه الرواية يروي عن الاحول والاحول كـــان (٦٩) تلميـــذا لثعلب المتوفى سنـــة ٢٩١ هـ يأخذ عنه ويروي ، والمعروف ان الاخفش الاصغر كـــان تلميذا لثعلب فمن المناسب ايضا ان يروي عمـــن روى عـــن ثعلـــب .

---

(٦٧) اخبار النحويين البصريين ص ٤٨ (في ترجمة الاخفش الاوسط) انباه ٤١/٢ (في ترجمة الاخفش الاوسط) .

(٦٨) المسائل العسكريات ص ٨٠ وانظر فهرس هذا الكتاب ص ١٨٤ .

(٦٩) انظر ترجمته في معجم الادباء ١٢٥/١٨ . تاريخ بغداد ١٨٥/٢ بغية الوعاة ٨١/١

وخلـــط المحقق ايضا فنسب الى الاخفش الاوسط روايـــة الفارسي :

« وانشدنا ابـــو الحسن الاخفش :

فـــرت يهود واسلمت جيرانهـــا صمي لما فعلت يهود صمام » (٧٠)

والمعني هنا ابـــو الحسن الاخفش الاصغر علي بن سليمان الذي تتلمـــذ عليه الفارسي ، ومن المستبعد ان يعنـــي الفارسي في قولـــه « انشدنا » الاخفش الاوسط الذي عاش في عصر غير عصر الفارســـي .

ولعل احدث ما وقعت عليه من خلط بين الاخفش الاوسط والاصغر ذلك الذي وقـــع فيه محقق « اخبار ابي القاسم الزجاجي » وهـــو خلط كثير بيّن ، ذلك انـــه وضع في آخـــر هذا الكتاب فهرسا للأعلام جعل كـــل ما فيه ذكـــر « الاخفش » للأوسط سعيد بن سعدة ، وتجاهل (٧١) تمامـــا الاخفش الاصغر علي بن سليمان ، ولـــم يذكره بين الاعلام مرة واحـــدة مع ان معظم ما ذكر فيـــه « الاخفش » ـ وهو كثير جـــدا ـــ هو للثاني وليس للأول وذلك ان الزجاجي صاحـــب الكتاب كان تلميذ علي بـــن سليمان فكان يروي عنه عن ثعلب الامر الذي يؤكد ما اذهب اليه . وكـــان الزجاجي اذا اراد الاوسط ولـــم تكن قرينة سماه باسمه فقـــال (٧٢) : « الاخفش سعيد بن مسعدة » ، أما اذا كانت قرينة كأن يروي (٧٣) المازني عن الاخفش ، فكان يكتفي بذكر لقبه وحـــده .

---

(٧٠) المسائل العسكريات ص ١٢١ وانظر فهرس هذا الكتاب .

(٧١) انظر فهرست الكتاب ص ٢٩١ . وانظر الكتاب : ص ١٨، ٢١، ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٨، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٧٣ ٧٦ ٧٧ ٨٢ ٨٤ ٨٥ ٩١، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠ وما بعدها .

(٧٢) انظر ص ٨٨، ٢١٦

(٧٣) انظر ص ٢٤ ، ١٧٠

والملحـــوظ من خلال هذا البحث ان معظم خلط الباحثين كان بيـــن الاخفش الاوسط والاصغر ، ومرد هـــذا ـــ في نظري ـــ الى اشتـــراك الاثنين في لقـــب الاخفش ، واشتراكهما في كنية « ابي الحسن » ، والـــى ان كليهما نحوي ، ومؤلـــف كتب في ضروب اللغة المختلفة ، ولان القدمـــاء كانوا يكتفون عند ذكـــر احدهما باللقب او الكنية او اللقب والكنية معـــا .

ومـــع ذلك فان قرائن عديدة يمكن ان تعتمـــد ، واساليب متنوعة يمكن ان تتخـــذ للتمييز بينهما ، وقد حاول الدكتور عبد الامير الـــورد صاحب « منهج الاخفش الاوسط » ان يعتمـــد مجموعة منها ليميز الاخفش الاوسط عن غيره من النحاة منهـــا (٧٤) : تمييزه من البصريين او استثناؤه منهم كقول القائل « قـــال الاخفش من البصريين » او « قال البصريون الا الاخفش » . ومنها : قرنـــه بأنداده او اساتذته او تلامذته ، كقـــول القائل « قال ذلك سيبويه والاخفش » او « حكى ذلك الخليل والاخفش » او قولـــه : « حكى ذلك الاخفش والمازني » ومنها : رفض من بعـــده الراي او اخذه بـــه ، كقول القائل « قال ذلك الاخفش وخالفه المبـــرد » او قوله : « قـــال ذلك الاخفش وتابعه المبـــرد » . ومنها : ذكره مقرونـــا بكتاب لـــه ، كقول القائل : « وقـــال الاخفش في الاوسط » .

ويمكـــن القول ايضا ان ابرز ما يميـــز الاخفش الاصغر عن غيره من النحاة ان يروي تلامذته عنـــه بقولهم « اخبرنا الاخفش » او « انشدنـــا الاخفش » ، او ان يروي هـــو عن اساتذته امثال ثعلب ، او عن علمـــاء رووا عن تلاميـــذ الاخفش الاوسط او اقرانهم او من جـــاء بعدهـــم .

د. محمود حسني محمود
الجامعة الاردنية

---

(٧٤) انظـــر ص ٢٩

فهرس مصادر البحث

١ ـ أخبار النحويين البصريين ـ السيرافي ط ١٩٣٦

٢ ـ الاختيارين ـ الاخفش تحقيق د. فخر الدين قباوة دمشق ١٩٧٤ .

٣ ـ اعراب القرآن ـ المنسوب الى الزجاج تحقيق ابرهيم الابياري .

٤ ـ انباه الرواة ـ القفطي ـ تحقيق أبو الفضل ابرهيم ط أولى ١٩٥٢م .

٥ ـ البدر الطالع ـ الشوكاني ـ مطبعة السعادة ط الاولى ١٣٤٨هـ

٦ ـ بغية الوعاة ـ السيوطي ـ تحقيق أبو الفضل ابرهيم ـ مطبعة الحلبي ط أولى ١٩٦٥م.

٧ ـ تاج العروس ـ محب الدين الزبيدي .

٨ ـ تاريخ الادب العربي ـ بروكلمان ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

٩ ـ تاريخ بغداد ـ البغدادي ـ مطبعة السعادة ١٩٣١م.

١٠ ـ الحروف ـ ابن السكيت ـ تحقيق د. رمضان عبد التواب ـ ط أولى ١٩٦٩م.

١١ ـ الخصائص ـ أبن جني ـ تحقيق محمد النجار ـ بيروت ـ الطبعة الثانية .

١٢ ـ دائرة المعارف ـ فؤاد افرام البستاني بيروت ١٩٦٧م .

١٣ ـ سيبويه امام النحاة ـ علي النجدي ناصف .

١٤ ـ سيبويه امام النحاة في آثار الدارسين ـ كوركيس عواد بغداد ١٩٧٨م .

١٥ ـ طبقات النحويين واللغويين ـ الزبيدي ـ تحقيق أبو الفضل ابرهيم ط أولى ١٩٥٤م.

١٦ ـ الفهرست ـ ابن النديم ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

١٧ ـ القوافي ـ الاخفش الاوسط تحقيق د. عزة حسن دمشق ١٩٧٠م .

١٨ ـ لسان الميزان ـ أبن حجر العسقلاني ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ط أولى ١٣٣٠م .

١٩ ـ مجالس ثعلب ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار المعارف بمصر ـ ط الثانية ١٩٥٦م.

٢٠ ـ مجالس العلماء ـ الزجاجي ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ الكويت ١٩٦٢م.

٢١ ـ مجلة مجمع اللغة العربية الاردني العدد المزدوج ١١ـ١٢ كانون الثاني حزيران ١٩٨١م.

٢٢ ـ المدارس النحوية د. شوقي ضيف دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .

٢٣ ـ مدرسة البصرة ـ د. عبدالرحمن السيد ط أولى ١٩٦٨م .

٢٤ ـ مراتب النحويين ـ أبو الطيب اللغوي ـ تحقيق أبو الفضل ابرهيم مطبعة نهضة مصر ١٩٥٥م .

٢٥ ـ المزهر ـ السيوطي ـ تحقيق علي البجاوي ـ دار احياء الكتب العربية .

٢٦ ـ المسائل المسكريات ـ أبو علي الفارسي ـ تحقيق اسماعيل عمايرة ـ ط ١٩٨١م .

٢٧ ـ معجم الادباء ـ ياقوت الحموي ـ مطبعة المأمون ـ الطبعة الاخيرة .

٢٨ ـ المعجم العربي ـ د. حسين نصار ـ ط ١٩٥٦م .

٢٩ ـ منهج الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية ـ د. عبد الامير الورد ـ ط الاولى ١٩٧٥م.

٣٠ ـ نزهة الالباء ـ ابن الانباري .

أ) تحقيق أبو الفضل ابرهيم . دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

ب) تحقيق د. ابرهيم السامرائي ـ ط الثانية ١٩٧٠م .